ترجمات.. جونتر جراس وروايته الأكثر شهرة في ألمانيا «طبل الصفيح»

31 | written by TEST1 أغسطس، 2025

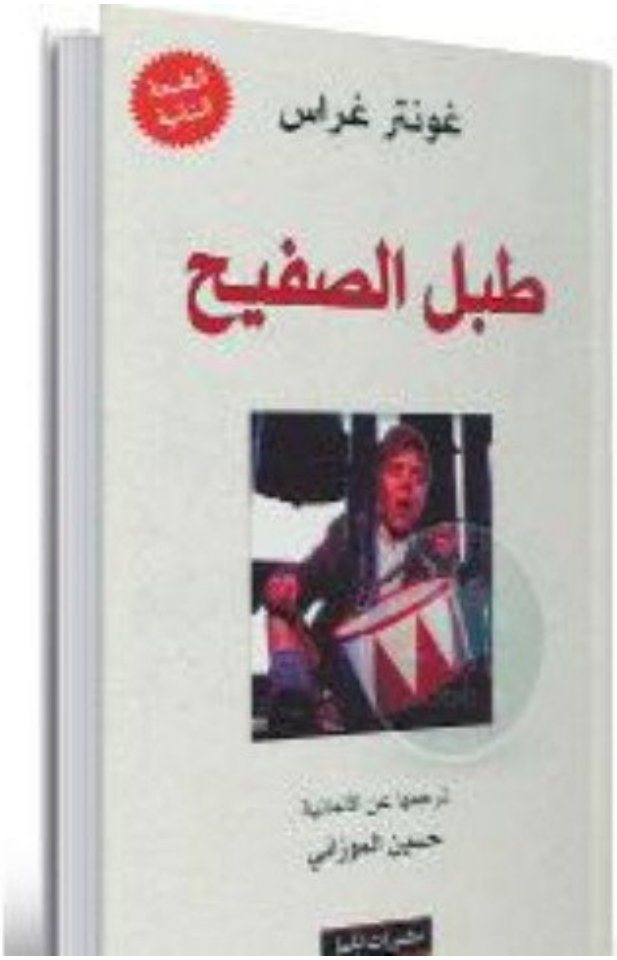

«جونتر جراس».. روائى، وشاعر، وكاتب مسرحى، ورسام،، وحاز على جائزة نوبل فى الأدب عام 1999، واشتهر بانتقاده لسياسات إسرائيل النووية، ونشر فى عام 2012 قصيدة تنتقد إسرائيل وتتهمها بتهديد السلم العالمى. وقد رحل عن عالمنا فى 13 إبريل 2015 عن عمر يناهز 87 عامًا. ويُعتبر من أبرز كتاب ألمانيا فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. فى عام 2006، أثار كشفه عن خدمته فى قوات الأمن الخاصة (فافن إس إس) خلال الحرب العالمية الثانية ضجة كبيرة. لم يكن يخشى «جراس» مواجهة ماضى بلاده فى زمن الحرب، وكان يُنظر إليه فى كثير من الأحيان على أنه «ضمير جيله». وقد اكتسب شهرته العالمية ككاتب بفضل روايته الأولى «طبل الصفيح» التى نُشرت عام 1959، وهى بانوراما ساخرة للواقع الألمانى خلال النصف الأول من هذا القرن، وشكلت مع «القط والفأر» و«سنوات الكلب» ما يسمى ثلاثية دانزيج.

وُلد جونتر فيلهلم جراس 16 أكتوبر 1927، فى مدينة دانزيج، وهى الآن مدينة جدانسك البولندية لأبوين بولنديين، بعد خدمته العسكرية وأسره لدى القوات الأمريكية بين عامى 1944 و1946، عمل كعامل زراعى

وعامل مناجم، ودرس الفن فى دوسلدورف وبرلين. بين عامى 1956 و1959، عمل نحاتًا وفنانًا جرافيكيًا وكاتبًا فى باريس، ثم فى برلين. فى عام 1955 أصبح جراس عضوًا فى المجموعة 47 ذات النقد الاجتماعى، ونُشرت أولى قصائده فى عام 1956 وأنتجت أول مسرحية له فى عام 1957. وجاءت انطلاقته الدولية الكبرى فى عام 1959 «طبل الصفيح»، تم تحويل رواية «طبل الصفيح» إلى فيلم يحمل الاسم نفسه، وفاز بجائزة السعفة الذهبية عام 1979 وجائزة الأوسكار لأفضل فيلم بلغة أجنبية.

«طبل الصفيح» الرواية الأكثر شهرة فى ألمانيا، والتى تعد من أهم الأعمال الأدبية التى كتبت بعد الحرب العالمية الثانية. وقد جاءت ردًا عنيفًا على مقولة الفليسوف أدورنو الذى شكك فى قدرة الألمان على كتابة عمل إبداعى بعد المحارق النازية. إنها قطعة فريدة من الأدب العالمى، ولم تفقد شيئًا من حيويتها وسحرها على الرغم من أكثر من 66 عامًا على صدورها للمرة الأولى.

تدور أحداث القصة حول حياة أوسكار ماتزيراث، كما رواها بنفسه عندما كان محتجزًا فى مستشفى للأمراض العقلية خلال الفترة من 1952 إلى 1954. وُلد عام 1924 فى مدينة دانزيج، متمتعًا بقدرة تفكير وإدراك بالغة، لكنه قرر ألا يكبر أبدًا عندما سمع والده يعلن أنه سيصبح بقالًا. موهوبًا بصرخة ثاقبة يمكنها تحطيم الزجاج أو استخدامها كسلاح، يعلن أوسكار نفسه واحدًا من هؤلاء «الأطفال ذوى السمعة الواضحة»، الذين «يكتمل نموهم الروحى عند الولادة ولا يحتاج إلا إلى تأكيد نفسه». يحتفظ بمكانة الطفل بينما يعيش فى بداية الحرب العالمية الثانية. خلال كل هذا لايزال طبل معدنى لعبة، تلقاه كهدية فى عيد ميلاده الثالث، تلاه العديد من الطبول البديلة فى كل مرة يستهلك فيها أحدها من شدة العزف، ممتلكاته الثمينة، فهو مستعد لارتكاب العنف من أجل الاحتفاظ بها.

يعتقد أوسكار أن له أبوين مفترضين، زوج والدته ألفريد ماتزيراث، العضو فى الحزب النازى، وابن عمها وحبيبها يان برونسكى، بولندى من دانزيج أُعدم لدفاعه عن مكتب البريد البولندى خلال الغزو الألمانى لبولندا. بعد وفاة والدة أوسكار، يتزوج ألفريد من ماريا، وهى عشيقة أوسكار الأولى سرًا. بعد زواجها من ألفريد أنجبت ماريا كورت، الذى أشار إليه أوسكار فيما بعد بابنه. لكن أوسكار يشعر بخيبة أمل عندما يكتشف أن الطفل لا يزال يكبر، ولن ينضم إليه فى التوقف عن النمو فى سن الثالثة.

خلال الحرب، انضم أوسكار إلى فرقة من الأقزام الاستعراضيين الذين يُسلّون الجنود الألمان على خط المواجهة. ولكن عندما تُقتل حبيبته الثانية، روسويثا الصغيرة، على يد قوات الحلفاء أثناء غزو نورماندى، يعود أوسكار إلى عائلته فى دانزيج حيث يصبح زعيم عصابة شبابية إجرامية. سرعان ما استولى الجيش الأحمر على دانزيج، وأُطلقت النار على ألفريد من قِبل القوات الغازية بعد أن أصيب بنوبات صرع أثناء ابتلاعه دبوس الحزب الخاص به لتجنب الكشف عن كونه نازيًا.

بعد الحرب، اضطر أوسكار وزوجة أبيه الأرملة وابنهما إلى مغادرة مدينة دانزيج البولندية والانتقال إلى دوسلدورف، حيث عمل عارض أزياء عاريًا وعمل فى نقش شواهد القبور. أجبرت التوترات المتزايدة أوسكار على العيش بعيدًا عن ماريا وكورت؛ فقرر العيش فى شقة مملوكة لعائلة زيدلر. وعند انتقاله، وقع فى حب الأخت دوروثيا، وهى جارته، لكنه فشل لاحقًا فى إغوائها. وخلال لقاء مع زميله الموسيقى كليب، سأل كليب أوسكار كيف له سلطة على حكم الموسيقى. أوسكار، على استعداد لإثبات نفسه مرة واحدة وإلى الأبد، التقط طبلته وعصيه على الرغم من تعهده بعدم العزف مرة أخرى بعد وفاة ألفريد، وعزف

ميكرفون على طبلته. أدت الأحداث التى تلت ذلك إلى قيام كليب وأوسكار وشول، عازف الجيتار، بتشكيل فرقة الجاز. اكتشفهم السيد شموه، الذى دعاهم للعزف فى نادى. بعد أداءٍ بارع، يكتشف باحثٌ عن المواهب فى شركة تسجيلات أوسكار، عازف طبول الجاز، ويعرض عليه عقدًا. وسرعان ما يحقق أوسكار الشهرة والثراء. وفى أحد الأيام، أثناء سيره فى حقل، يجد إصبعًا مقطوعًا: إصبع الأخت دوروثيا التى قُتلت. ثم يلتقى بفيتلار ويصادقه. يُدان أوسكار ظلمًا بجريمة القتل، ويُحتجز فى مصحة للأمراض العقلية، حيث يكتب مذكراته.